جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية

كلية أصول الدين

الملتقـــــــــــــى الوطنـــي

اتجاهات المدرسة الصوفية الجزائرية من البناءات المعرفية الى الامتدادات العالمية

20 أفريل 2026

المرجعية السنية فى تصوف الشيخ عبد الرحمن باش تارزى وأثرها فى انتشار الطريقة الرحمانية بالشرق الجزايرى

Sunni Reference in the Sufi Thought of Sheikh Abd al-Rahman Bash Tarzi and Its Impact on the Spread of the Rahmaniyya Order in Eastern Algeria"

أ.د أحمد عبدلي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الملخص :

تتناول هذه المداخلة بالدراسة والتحليل المرجعية السنية في الفكر الصوفي عند الشيخ عبد الرحمن باش تارزي (ت 1222هـ/1807م)، باعتباره أحد أبرز أعلام الطريقة الرحمانية، في الحاضرة القسنطينية الذين جمعوا بين الشخصية الفقهية المرجعية الإفتاء (مفتي الحنفية) ورئاسة الطريقة ذات المذهب المالكي. تهدف الدراسة إلى استجلاء طبيعة التوازن الذي أقامه الشيخ بين الضوابط المرجعية (الكتاب والسنة) الشرعية والممارسة الذوقية والعرفانية ، وكيف ساهم هذا "الانضباط المرجعي السني" في تقديم نموذج صوفي مقبول لدى النخب العلمية والعامة ،على حد سواء. كما تسلط المداخلة الضوء على الأثر الميداني لهذه المرجعية في توسع الطريقة الرحمانية بالشرق الجزائري، حيث تحولت الزوايا تحت إشرافه من فضاءات للذكر فحسب إلى مراكز إشعاع علمي واجتماعي. وتخلص الدراسة إلى أن نجاح الطريقة الرحمانية في الانتشار وتجاوز العقبات المذهبية والاجتماعية كان مرتهناً بالأساس بالعمق السني والرزانة الفكرية التي طبعت منهج الشيخ باش تارزي.

الكلمات المفتاحية: المرجعية السنية. الشيخ عبد الرحمن باش تارزي. الفكر الصوفي. الطريقة الرحمانية

Abstract

This paper analyzes the Sunni reference in the Sufi thought of Sheikh Abd al-Rahman Bash Tarzi (d. 1222 AH/1807 AD), a preeminent figure of the Rahmaniyya Order in the city of Constantine. The Sheikh was uniquely distinguished by his dual authority: his official role as a leading jurist and Mufti of the Hanafi school, and his leadership of a Sufi order rooted in the Maliki school.

The study aims to elucidate the balance established by the Sheikh between scriptural constraints (the Quran and Sunnah) and experiential mystical practices. It examines how this "Sunni disciplinary reference" facilitated a Sufi model that gained widespread acceptance among both the scholarly elite and the general public. Furthermore, the paper highlights the practical impact of this intellectual framework on the expansion of the Rahmaniyya Order across Eastern Algeria, where Sufi lodges (*Zawiyas*) under his guidance evolved from purely devotional spaces into centers of scientific and social enlightenment. The study concludes that the Rahmaniyya Order's success in proliferating and overcoming sectarian and social obstacles was primarily contingent on the Sunni depth and intellectual sobriety that characterized Sheikh Bash Tarzi's methodology.

Keywords: Sunni Reference; Sheikh Abd al-Rahman Bash Tarzi; Sufi Thought; Rahmaniyya Order

المقدمة

المرجعية السنية كآلية استقطاب :كيف ساهم كون الشيخ "مفتياً للحنفية" في إعطاء "شرعية علمية" للطريقة، مما سهل تمددها في المدن الكبرى (قسنطينة، عنابة) التي كانت ترفض التصوف الشعبي غير المنضبط.

"الصوفية العلمية" كمحرك للتوسع :شرح كيف أن الشيخ لم ينشر "أوراداً" فقط، بل نشر "منظومة تعليمية". فالتوسع لم يكن عددياً فحسب، بل كان توسعاً عبر "النخب العلمية" (الطلبة والعلماء) الذين تبنوا هذا الطرح السني الرزين.

مقدمة جول :الوضع الثقافي والعلمي في الجزائر نهايات الحكم العثماني

كان التعليم أهم مميزات الوضع الثقافي في قسنطينة قبل الاحتلال الفرنسي، فقد كان التعليم منتشرا بشكل كثيف في الزوايا والجوامع الكبرى مثل: الجامع الكبير، مسجد سيدي الكتاني، مسجد سوق الغزل، مسجد سيدي لخضر، جامع سيدي عفان، جامع سيدي محمد بن ميمون، جامع سيدي علي مخلوف، جامع سيدي الجليس، جامع رحبة الصوف..، حيث تعلم فيها أحكام القرآن الكريم والمنطق والتاريخ، والفقه والحديث والتصوف، وعلم الحساب، والفلك.. أحصى بعض الباحثين حوالي 100مسجد أو مصلى في تلك الفترة، ولكل منها ما يتبعها من الحبوس التي تمولها، وتضمن استقلالها وبقاءها.

ولقد كان من الشائع وجود البيوتات العلمية أبا عن جد، مثل:عائلة الراشدي، عائلة المْسَبَحْ، عائلة الفكون، عائلة العلمي، عائلة بن عزوز، عائلة ابن الكيرد، عائلة ابن باديس، بيت ابن الكماد، بيت ابن القنفذ، بين ابن نعمون، بيت العطار، بيت ابن جلول، بيت عبدالمؤمن..؛ لعبت هذه البيوتات العلمية دوراً محورياً في الحياة الفكرية والثقافية للمدينة، حيث تولى أبناؤها التدريس ونشر العلم، وأثروا في المجتمع بعلمهم ومعرفتهم، مما رفع من مكانة قسنطينة كمركز ثقافي وعلمي هام؛ كانت هذه العائلات تنفق بسخاء على طلبة العلم مأكلا ومشربا وإقامة، بلغت بعضها مرتبة عليا من التقدير والاحترام لدى السلطة العثمانية فعينوا بعض أفرادها مفتين وقضاة مثل عائلة ابن لفقون.

انتشرت بقسنطينة الكثير من الطرق الصوفية منها: الطريقة العيساوية، الطريقة الطيبية، الطريقة التيجانية، الطريقة الحنصالية، الطريقة العمارية..، أما والزوايا فقد أحصى إرنست ميرسييه Ernest Mercier حوالي16زاوية سواء في المدينة أو نواحيها، ومن بين هذه الزوايا: زاوية سيدي مسيد سيدي مخلوف، زاوية سيدي ميمون، زاوية سيدي راشد، سيدي التلمساني، سيدي عبد المؤمن، سيدي عفان، زاوية ابن محجوبة..، أما في نواحي المدينة فنذكر: زاوية بني مسعود، زاوية محمد بن يحيى، زاوية مولاي الشقفة.

كانت البيئة العامة في قسنطينة ما قبل الاحتلال الفرنسي، بيئة علم وثقافة وتقاليد عريقة منحها لقب مدينة العلم والعلماء لكثرتهم فيها، وفي هذه البيئة ظهر الشيخ الباش تارزي بطريقته الجديدة الخلوتية الرحمانية، التي قوبلت أول الأمر بالتوجس، لدرجة أن الباي صالح قد كلف الشيخ عمار الراشدي الغربي باختباره، فلما تبين له سعة الباع العلمي تحول إلى تلميذ له في الطريقة، ولم يذكر أي نزاع أو صراع مع الطرق الأخرى، بل بلغ التعاون أن كلف الشيخ علي بلغول نقيب الحضرة في الرحمانية، ليصبح مقدما في الطريقة العيساوية، وقد كان يبيت ليلة الجمعة في زاوية الباش تارزي ثم يجتمع بالحنصاليين عصر الجمعة.

1- الطرق الصوفية في الجزائر

عرفت الجزائر التصوف والطرق الصوفية في عهد مبكر من تاريخها، وبالرغم عدم دقة تاريخ دخول التصوف إلى الجزائر، إلا أن بعض الباحثين يضعون مؤشرات زمانية وموضوعية روحية لمقاربته، فروحيا يعود تاريخه إلى الفاتحين الأوائل الزهاد وعلى رأسهم عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه، وبالتالي فهو مرتبط بالفتح الإسلامي لبلاد المغرب، أما بالمفهوم الدقيق للتصوف فقد ظهر أولا بالمشرق ثم انتقل مع المعابر الأربعة: الحج طلب العلم، الكتب والمؤلفات والتجارة،[1] ومن أوائل الذين نشروا لتصوف في الجزائر الشيخ عبدالرحمن التونسي، ابي مدين الغوث، ومن أقطابه وأعلامه: عبد الرحمن الثعالبي، عبد الحق الاشبيلي، الحسن بن علي المسيلي، إبراهيم التازي ، احمد رزوق، محمد الهواري ومحمد بن يوسف، أحمد بن يوسف الملياني ، أُمْحمد بن عبدالرحمن الجرجري ، وغيرهم من سادة الطرق الصوفية في الجزائر.

[1] -عبد المنعم القاسمي أعلام التصوف في الجزائر، ط1، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر،2017، ص24

تقدر الدراسات التاريخية أن ظهور الطرق الصوفية في الغرب الاسلامي عموما والجزائر خصوصا يعود إلى النصف الأول من القرن الرابع الهجري على يد الإمام ابو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن خالد القلانسي ، بينما الشائع أن القرنين السادس والسابع الهجرين هما المرجع الزمني لتوثيق تاريخ التصوف ، حيث يحاول البعض ربط التصوف بالتشيع، والتصوف بالحلول والاتحاد. وفي ذلك تجاهل الصلات القديمة بين الصوفية والأشعرية، مهما يكن من أمر، فإن التصوف في البلاد المغاربية

أولا: الجذور الأولى من القرن الأول ه الى القرن الخامس ه :

-الزهد الفردي :ارتبطت البدايات بحركة الزهد والوعظ التي تأثرت بمصادر مشرقية وأندلسية، مثل البهلول بن راشد (ت 183 ه)، عابد المغرب، أبو يعقوب يوسف السدراتي (القرن 4 ه)، ابن العباس البجائي (القرن 5 ه)، الإمام الزاهد عبد الحق الإشبيلي (استقر في بجاية وتوفي 581 ه)، يعزو بعضهم بدايات الطرق الصوفية في المغرب الأوسط إلى نشاط أبي مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الاشبيلي مولدا الجزائري مدفنا (520ه/1126م - 594ه/1198م) تلميذ السيد عبدالقادر الجيلاني البغدادي (ت 1097م) في القرن السادس الهجري ببجاية ، حيث تأثر به العديد من المتصوفة اللاحقين، فعنه أخذها عبد السلام بن سليمان المعروف بابن مشيش المتوفى سنة 625ه الموافق 1221م. وأبو الحسن الشاذلي(571 ه- 656 ه) سيدي ، ولذا يعده الكثير من الباحثين بأنه همزة الوصل بين المرحلة الأولى والثانية.

-الرّباطات الحدودية :ظهر التصوف مبدئياً في شكل "رباطات" عسكرية وتعبدية أُنشئت لحماية الثغور، وسرعان ما تحولت إلى مراكز للتعبد والرياضة الروحية. والخلوت

-تأثير الحج والرحلات العلمية الى مصر: كان للجو السائد في المشرق العربي وعلى رأسها مصر، ونتيجة للتبادل العلمي والرحلات إلى الحج والمشاركة في أعمال الجهاد، إضافة إلى العوامل السياسية المرتبطة بنشوء الدويلات الإسلامية... وغيرها من العوامل التي لها اثر بالغ في نقل الفكر الصوفي من المشرق إلى المغرب الأوسط.

-المواجهات الفكرية والعقدية:

ثانيا: مرحلة التأسيس والانتشار (القرن 5ه - 9ه)

ثالثا: مرحلة الطرائقية وتأسيس الزوايا (القرن 10ه - 13ه)

لمنعطف الأهم في تاريخ التصوف الجزائري، حيث انتقل فيها من "الزهد الفردي" أو "المدارس التعليمية النخبوية" إلى "التصوف الشعبي المؤسساتي ."في هذه الفترة، لم يعد التصوف مجرد أوراد تُذكر، بل صار نظاماً اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً متكاملاً. حيث لعبت هذه الطرق والزوايا أدوارا : تعليمية وقضائية واجتماعية، ولذا يصدق فيها وصف: اكبر من حزب واقل من دولة.

كان في مبدأ انتشاره مرتبطًا بعلم الكلام وليس مقصودًا في نفسه؛ لأن أصحابه الأوائل كانوا في محنة وجِلَاد شديدين مع الشيعة الفاطميين. وظل ذلك كذلك لغاية القرن السادس الهجري أو قبله بقليل، عندما بدأت تنتشر كتب الغزالي الذي وجد فيه الموحدون مرجعية وصاروا له أنصارًا ودعاة؛ وذلك لأن ابن تومرت كان قد تتلمذ على يد الغزالي (سعد الله ، 1998،ص41) ، ، ، وقد شهدت توسعا ونموا مطردا خلال الوجود العثماني في الجزائر، والذي يبدو أن بنية النظام السياسي فيه كانت تعطي هامشا واسعا للحركات الصوفية لتحتل مكانة قيادية فيه، خصوصا مع بلائها الحسن في الجهاد وصد الهجمات الصليبية على الجزائر، وماتزال معركة الطلبة في 27 فبراير 1792م، التي أنهت الوجود الاسباني في وهران

احتلت الزوايا مكانة مهمة في البينان الاجتماعي للمجتمع الجزائري، ذلك أن السلطة السياسية العثمانية القائمة آنذاك ، التي شجعت نشوء وازدهار الطرق الصوفية، فلم تكن بالنسبة لها كيانا غريبا بل جزءا من النظام الاجتماعي له مماثلات في دولة الخلافة ومصر والشام حيث المئات منها ،بل إن تكوين الدولة العثمانية في أصله صوفي طرقي صرف بل إن العلاقة كانت وظيفية تبادلية فالطرق الصوفية ساهمت في الاستقرار الاجتماعي وتوطيد اركان الدولة باعتبارها تمثل الخلافة الإسلامية الواجبة الطاعة والولاء، وهو ما عزز من شرعية الحكم العثماني في الجزائر ، وقد عاصر كبار أعمدة التصوف الجزائريين الحكم العثماني.

لقد كان للطرق الصوفية اياد بيضاء في الجهاد وشد عضد الدولة في مواجهة الحملات الصليبية، الاسبانية والفرنسية والبريطانية، والبهم يعود الفضل في تحرير الساحل الوهراني بعد قرون من احتلال الاسبان له في المعركة التي خاضها طلبة الزوايا ملبين دعوات شيوخ الطرق الصوفية إلى الجهاد، على أن هذه الحالة لا تمثل تاريخ العلاقة كلها، بل لقد ساد جو من التوتر والجفاء بينهما لعوامل عديدة ، منها ما هو متعلق بالحكم واستئثار العثمانيين به وفساد امرائهم في المراحل المتأخرة وارهاق الشعب الضرائب والإتاوات...، وبعضها لغلبة الاهواء الشخصية والمصالح والريع، ولعل أبرز صراع بينهما ما كانت تمثله قلعة أث عباس أو امارة بني عباس[2] التي ينحدر منها الشيخ المقراني، ومن الشواهد على توتر العلاقة ثورة سي محمد الكبير ابن الشيخ احمد التيجاني في 1826م،ضد الظلم التركي وثورة ابن الشريف الدرقاوي جرت أحداثها بين 1802 م لغاية 1816 م ، وكذا مضايقة الشيخ محي الدين والد الأمير عبدالقادر ووضعه رهن الإقامة الجبرية

[2] -تقع قلعة آث عباس في بلدية إغيل علي (ولاية بجاية)، التي تحدها بلدية آث رزين (قندوز) شمالا، ولاية برج بوعريرج جنوبا، ودائرة ثاموقرا شرقا، ودائرة بوجليل غربا. تتميز بتضاريسها المرتفعة (أكثر من 900م فوق مستوى سطح البحر)، وتندرج ضمن سلسلة جبال البيبان الشهيرة بمضيق أبواب الحديد قلعة آث عباس أي الجغرافيا التي لبت نداء التاريخ، عندما تعرضت بجاية للعدوان الإسباني في مطلع هذا القرن 16م، فتحالف أجوادها من أجل إخراج المحتلين، مع الأخوين بابا عروج وخير الدين اللذين شكلا رأس الحربة للخلافة العثمانية، التي هيمنت على حوض البحر الأبيض المتوسط

ومع ذلك فإن تغلغل الطرق الصوفية في البنيان الاجتماعي ، سمح لها بلعب أدوار سلطوية روحية و زمنية حيث كانت تتولى تنظيم الشؤون الاجتماعية والمالية والتقاضي والزواج والطلاق وفض الخصومات والنزاعات، ومجمع الاعراش الذين لا يتجاوزنها في تدبير امورهم، ولاحظ Albert Devoulx (1826-1876)أن لهؤلاء المرابطين نفوذا عظيما يفوق أحيانا نفوذ الأجواد أو الرؤساء الذين يمارسون السلطة الزمنية كموظفين عند فرنسا، [3]يعضد هذه السلطة سلطة روحية وهي الأكثر تأثير، فإضافة إلى كونها مراكز للعبادة والتزكية الروحية ، فإنها أيضا مدارس لتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الشرعية ومقصدا هاما لتخريج الائمة والقراء.

وخلال فترة الاحتلال الفرنسي كان للطرق الصوفية دورا فعالا في قيادة الثورات الشعبية وتسليحها، فقد خلف انهيار السلطة العثمانية فراغا قياديا وتنظيميا، لم يملؤوه الا الطرق الصوفية فهي الوحيدة التي كانت مؤهلة لذلك تنظيميا وماليا وعدديا، ثورة الأمير عبد القادر بن محي الدين، ثورة الزعاطشة الاخوة الرحمانيين، المقرانيين ...الخ، وهو نفس الموقف الذي اتخذته خلال الثورة التحريرية، حيث تحولت إلى مراكز تموين ونقاط التقاء لقادة الثوار مثلما هو الحال بالنسبة للزاوية القاسمية في الهامل التي كان الشهيد زيان عاشور وقادة اخرين يعتمدون على دعمها.

واكبت الطرق الصوفية مختلف الاحداث والتقلبات السياسية والاقتصادية في عهد الاستقلال، ولحق الكثير منها حيف وظلم واقصاء ممنهج للكثير منها، وانحصر دورها داخل اسوار زواياها، وكان لذلك اثرا سلبيا سيعرف أثره المدمر لاحقا حيث تسربت الأفكار المتطرفة والعنيفة ، وبالرغم من ذلك لم تنعزل عن التفاعل مع قضايا المتجمع فاستمرت في التربية والتعليم، وتخرجت الكثير من الكوادر التعليمية والإدارية منها، فمعهد التعليم الأصلي لزاوية الهامل كان مقصدا لأبناء البسطاء والفقراء لنيل الشهادة بشكل مجاني ، كما أنها واصلت مهمات الاجتماعية الأخرى مثل جلسات الصلح الاجتماعي، اطعام الطعام وافشاء السلام، وقد عادت بقوة خلال السنوات الماضية حيث اثبتت أنها حصن المرجعية الدينية والوطنية المتين وعلامة الوسطية والاعتدال ومعلما من معالم التاريخ الوطني.

الطريقة الرحمانية المنشأ الغايات والاهداف:

تنسب الطريقة الرحمانية إلى شيخها ومؤسسها سيدي أمْحمّد بن عبد الرحمن الزواويّ الأزهريّ، وإليه نُسبت فقيل "الرحمانيّة"*Tarehmanit* ، تعود أصولها إلى الطريقة الشاذلية المتفرعة عن "الطريقة الخلوتيّة"؛ ولهذا يطلق عليها أيضًا "الطريقة الخلوتية الرحمانية ،ينحدر من قرية بوعلاوة بعرش آيت إسماعيل، ناحية

[3] - Albert Devoulx. Les édifices religieux de l'ancien Alger. 1ed.alger 1870 p12

قشتولة، الواقعة على بعد 15 كلم، شرق ذراع الميزان، في منطقة جرجرة من الجزائر، ويلقب بـ"الزواويّ" نسبة إلى بلاد زواوة التي نشأ بها، كما يلقب بالأزهري نسبةً إلى أزهر مصر حيث درس فيه مدة طويلةً ، تلقى خلالها الطريقة الخلوتيّة عن شيخها في مصر محمّد بن سالم الحفناويّ الخلوتيّ (ت 1181 ه) الذي ألبسه الخرقة، وصرفه إلى الجزائر لنشر الطريقة هناك، وكان ذلك سنة 1177هـ = 1758م[4].

وكانت هذه الطريقة هي الأوسع انتشارًا في عموم الجزائر إبان القرن التاسع عشر؛ حيث كانت تستحوذ وحدها على أكثر من 50% من عدد الزوايا في الجزائر، بحسب إحصاء "ديبون" و"كوبولاني" الذي أجرَيَاه عام 1897م. (Octave Depont P389، 1898)وبالرغم من استشهاد الكثير من أتباع الطريقة خلال الثورات الشعبية التي قادوها بأنفسهم أو شاركوا فيها، فإن أعدادهم بقيت في تزايد مع انتشار جغرافي امتد إلى أعماق الصحراء الجزائرية جنوبا وأقصى الشرق الجزائري ، إلى غاية تونس، يؤيد هذا الكثير من الاحصائيات التي اجرتها الإدارة الاستعمارية أو الباحثين الفرنسيين، وبقيت محافظة على وجودها القوي والفاعل إلى غاية يومنا هذا بحمد الله وقوته.

مثل باقي الطرق الصوفية، اهتمت الرحمانية بقواعد التزكية والمحاسبة والسير إلى الله والزهد، وتعليم القران الكريم وحفظه والعمل بسنة النبيﷺ ،وحفظ المتون وقراءة الأوراد، ومجاهدة النفس في سبيل تخليصها من شوائب الذنوب والمعاصي والغفلة، أي التخلي والتحلي. قال فيها الشيخ الباشتارزي:

اسمها رحمانية بالفضائل محوية للقلوب شافية من امراض خافية

أصولها

الارتباط الثوثيق بالكتاب والسنة :تقوم الرحمانية في أورادها، وأذكارها، وسلوكها على القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة، كما أنها تُصبح طريقة "خلوتية جامعة" تدمج بين الالتزام بالشريعة والتربية الباطنية.

الامتداد الخلوتي :وهي تتصل مباشرة إلى "الطريقة الخلوتية"، واحدة من أعرق الطرق الوصلية السنية، مما يمنحها سنداً روحياً متصلاً برسول الله صلى الله عليه وسلم.

التربية والتهذيب :تعتمد الطريقة على تربية المريدين على فكر وفهم عميقين للدين، متجاوزة الظاهر إلى الباطن، مع الاستمرار بين الروح والجسد، والذكر والفكر.

أورادا مستمدة من كتاب السنة :تتضمن أوراد طريقة الرحمانية قراءة القرآن (مثل سورة الرحمن، الواقعة) وأذكار النبي صلى الله عليه وسلم، والمختلفة.

---

[4] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء1، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع- الجزائر ،2007، ص 507

الشيخ عبدالرحمن الباش تارزي :المولد والنشأة

هو عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة بن مامش الشهير باش تارزي الجزائري القسنطيني الحنفي الرحماني، وهو الاسم الذي تجمع عليه كل الكتابات التاريخية باستثناء ما أورده محمد الصغير بن المختار الجلالي صاحب تعطير الاكوان،أن اسمه "محمد عبدالرحمن" ، وهذا غريب، وحسب بعض الروايات فإن عائلته ارتحلت من المشرق إلى المغرب الأوسط مع الفتوحات الإسلامية، ثم ارتحلت إلى الأندلس ثم عادوا مرة أخرى إلى الجزائر واستقروا في قسنطينة، واحترفوا "الخياطة" ومنها اشتقت اسمها باش تارزي، وهي تسمية تركية مكونة من جزئين: Baş Terzi: باش يعني كبير، تارزي تعني الخياط أي كبير الخياطين، وتفيد رواية العائلة أن باي قسنطينة خاط عنده "قاط" جميل أعجبه فأعطاه هذا اللقب، وهو بمثابة رئيس الخياطين والمتحدث باسمهم وما يتعلق بهم.

ولد في العاصمة الجزائر، ثم ارتحل مع عائلته إلى قسنطينة التي استقر بها إلى أن توفي رحمه الله، ولا نكاد نعثر في أي من الوثائق والمراجع التاريخية على تاريخ محدد ودقيق لمولده، يقدر بعض الباحثين أنه ولد عام 1735م استنادا إلى تاريخ وفاته الذي كان عام 1806م، منقوص منها عدد سنوات عمره حين توفي عن 73 سنة.

أما نسبه فينسبه البعض إلى سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه، بينما كتب على حواف ضريحه التعريف الآتي: الشيخ الفاضل القطب الناصح الكامل سيدي عبد الرحمن باش تارزي برد الله ضريحه واسكنه فسيح الجنان..؛ إذا بمكن القول مما سبق أنه الشيخ عبد الرحمن بن أحمد بن حمودة، الجزائري منشأ، القسنطيني دارا، الحنفي المالكي الشافعي الحنبلي مذهبا، الأشعري الماتريدي اعتقادا، الخلوتي النقشبندي طريقة، الشريف أبا.. وفي قولهم الشريف أبا فهذا مدعاة لأن ينسب لآل البيت رضوان الله عليهم.

وأما وصف حاله وعلمه، فقد قال عنه صاحب الروض الباسم في سيرة سيدي محمد بن ابي القاسم : صاحب الكرامات الظاهرة، والأحوال الفاخرة، والحقائق الباهرة، والعلوم اللدنية، والمعاني النورانية، والفتح الموثق، والكشف المشرق، والباع الطويل، والإيضاح عن حقائق الآيات، والنظر الخارق لعرائس المغيبات، والمجلس العالي في حضرة القدس، والمقر السامي في أرائك الأنس، والمنهاج الموضوع على متن الملكوت إلى ملك الجبروت، وله اليد البيضاء في معاني المشاهدات، وعلوم المنازلات (الجدل والمناظرة)، وهو أحد من أظهر الله إلى الوجود وصرفه في الكون، وخرق له العادات، وأجرى على لسانه الحكم، ومكنه من الأحوال في النهاية، وملّكه أسرار الولاية، ونصبه حجة وقدوة، وهو أحد أركان هذا الشأن علما وعملا وزهدا وتحقيقا ورئاسة وجلالة، يتضح من هذا التعريف على ما فيه من مبالغة مكانة الشيخ في علوم الشريعة عموما، ومنزلته في علم الحقيقة خصوصا.

خلف أربعة ذكور، ولا تذكر أي من المصادر المكتوبة أو الشفهية أي تفصيل زوجته أو بناته إن كان خلفهم، أما الذكور فهم: الشيخ مصطفى خليفته، والشيخ محمود، والشيخ أحمد، والشيخ حسان الذي ارتحل إلى وهران خوفا من اغتيال الاحتلال الفرنسي له، نتيجة اشتراك الزاوية واتباعها في مقاومة الغزو الفرنسي لقسنطينة.

مساره العلمي وشيوخه:

نشأ الشيخ عبد الرحمن في بيت علم وأدب، تلقى تعليمه الأول صغيرا، فحفظ القران الكريم وقرأ العلم الشرعي حتى برع فيه على مختلف المذاهب المالكي والحنفي، كما أخذ عن الشيخ الطيب بن باباس، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة طالبا للعلم، كان أعجوبة أوانه علما وحفظا وورعا وديانة، حيث جمع بين علمي المعقول والمنقول، ملما بعلم الفلك، شاعرا أديبا، تولى الفتوى على المذهب الحنفي، كما تولى القضاء، والتدريس بجامع سوق الغزل، ثم جامع القصبة، وكذا الكتانية، والجامع الأخضر.

تصوفه ومكانته في الطريقة

تفيد بعض الروايات التاريخية أنه وفي طريق عودته من رحلة الحج قابل في مصر شيخ الطريقة الخلوتية الشيخ محمد بن علي سالم الحفناوي وطلب منه أخذ الميثاق في الطريقة فأشار عليه بتلميذه الشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري، ومن جميل القدر أن يكون الأزهري من زبائنه الذين يخيطون ثيابهم عنده، فكان هو من ادخله الطريقة الخلوتية النقشبندية العلية، المعروفة بالرحمانية، يقول واصفا حاله في غنية المريد: "ولما وقع بي ما وقع، وكرهت الأهل والمال والأود وجميع الأغيار، وهممت بالسياحة إلى القفار، وقال لي الشيخ محمد بن عبد الرحمن أنك قد بلغت مقام الهيمان، ولا بد لك من الخلوة زمان، فأدخلني خلوة بالجبل أياما.."، فأخذ الورد واتصل بسند الطريقة الرحمانية الخلوتية بما لقنه أستاذه، فقال في كتابه المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية عن سنده:

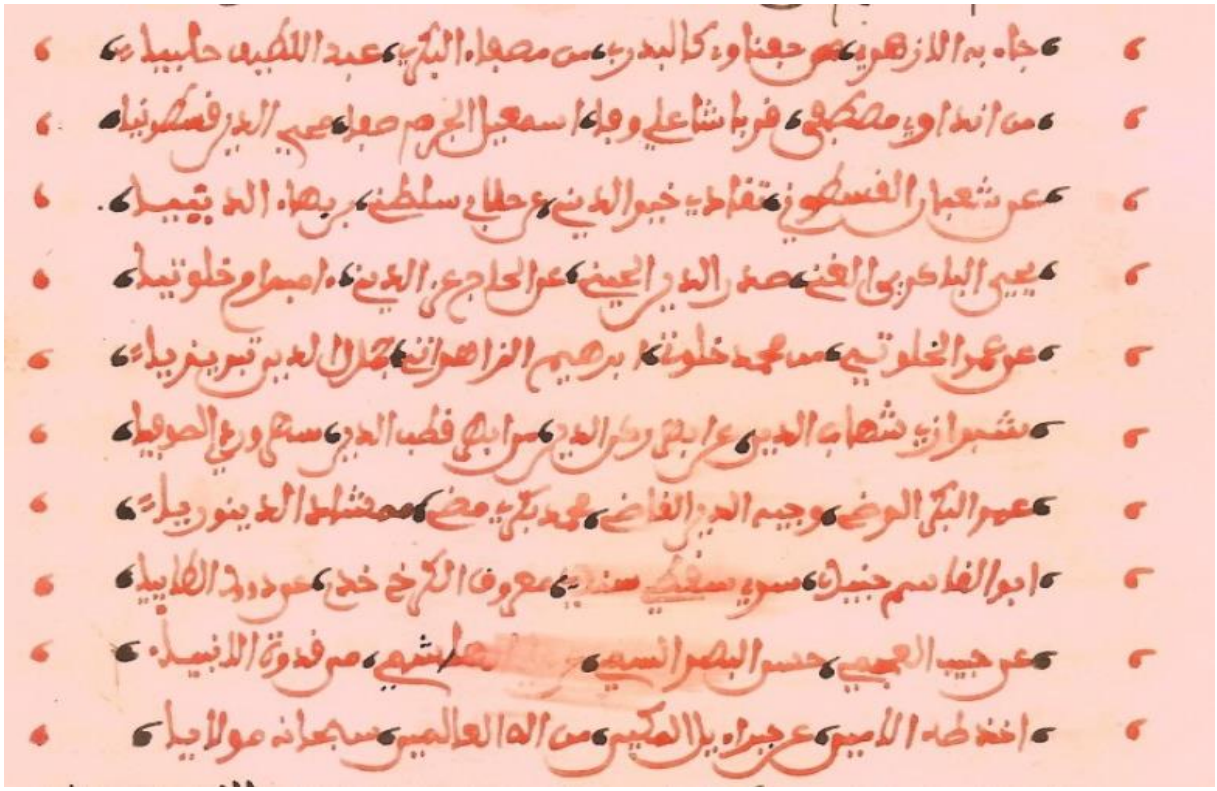

جاء بها الأزهري من حفناوي كالبدري عن مصطفاه البكري عبد اللطيف حلبيا

من أنداوي مصطفى قار باشا على وفا إسماعيل الجرمي صفا محي الدين قسطونيا

عن شعبان القسطوني توقادي خير الدين عن حلبي سلطاني ابن بهاء الدينيا
يحي الباكوبي الغني صدر الدين الجيني عن الحاج عز الدين أمبرام خلوتيا
عن عمر الخلوتي من محمّد الخلوتي ابراهيم الزاهد أتى جمال الدين تبريزيا
شيرازي شهاب الدين عن أبهاري ركن الدين من أبهاري قطب الدين سهر ورد الصوفيا
عمر البكري الرضي وجيه الدين القاضي محمّد بكري مضي ممشاد الدينوريا
أبو القاسم جنيدي سرى سقطى سندي معروف الكرخى خاذي عن داوود الطائيا
عن حبيب العجمي حسن البصري السامى عن علي الهاشمي من قدوة الأنبياء
أخذ طه الأمين عن جبرائيل المكينمن اله العالمين سبحانه مولايا

كان يكن لشيخه أمحمد بن عبد الرحمن محبة عظيمة ترجمها في قصائد كثيرة منها: قصيدة القرابشية، وقصيدة عار عليك تنساني، وقصيدة سيف الذاكرين التي يقول فيها بعض منها:

لا اله إلا الله * سيف الذاكرين
محلا ذكر الله * يروي العاطشين
الأزهاري الأواه * حبوا ما ننساه
يا سعد الي جاه * في الشدة يرجاه
نطلب عالي الجاه * رب العالمين
ندخل في حماه * بين الذاكرين
ندخل في الزمرا * نجلس في الحضرة
و أنزوروا جرجرة * الأزهاري المبرور
يرقيني نبرا * كيف الواصلين
نشرب من خمرة * بكاس العاشقين
ندخل في الأوراد * و اطريق الأسياد

وقصيدة عار عليك تنساني:

عار عليك تنساني بالك تنساني
ولأزهاري يا نصيح نغرا هاي رباني
ولأزهاري يا نصيح شيخي يالرباني
شيخي كامل بالأوصاف واللي عرفك مايخاف

من لا راه ما شاف ذا الحسن الرباني

شيخي فحل الفحول جيتك بإنشادي انقول

ورّث الشيخ باش تارزي بركة الطريقة لابنه مصطفى، الذي ورّثها أيضا لأبناء عائلته باش تارزي إلى غاية اليوم، وله مكانة محترمة بين اتباع وأحباب الطريقة الرحمانية، والطرق الصوفية الأخرى، ولدى عامة الناس وفيه قيل المثل الدارج: "كان النحل ياكل من ابطه"، حيث كانت النسوة ترشه بعطور الأزهار المقطرة، خلال سيره من بيته برحبة الصوف إلى زاويته بالشارع، مدحه الشيخ عثماني عبد الله بن المبروك في قصيدة ذكر فيها رجال الطريقة قال فيها:

بابن عبد الرحمان الباش تارزي قبلة المجد أكرم الكرماء

تأسيس الزاوية ونشر الطريقة

عاد الشيخ عبد الرحمان إلى قسنطينة بإشارة وبتوجيه من أستاذه الأزهري، ناشراً الطريقة الرحمانية، ولما قدم قسنطينة أنشأ زاويته الرحمانية الأولى، كانت أول الأمر وسط المدينة العتيقة بحي الدرب مقابل رحبة الصوف، فكانت مركزا لتحفيظ القرآن وتعليم علوم الشريعة والسلوك، كما كانت مركزا لعابر السبيل؛ ولما كثر أتباعه ومريدوه من طلبة العلم وحفظة القرآن الكريم وعابري السبيل، طلب من المقربين البحث عن مكان جديد أوسع، أشاروا عليه بالمقر الحالي الذي كان في الأصل ملكية خاصة استعملت كزاوية سابقا، تقع بحارة اليهود، أو ما يعرف بحي الشارع في وسط المدينة القديمة، وسمّيت بالزاوية الرحمانية السفلى، كانت لها موارد مالية من الأرض التي اقتطعها باي قسنطينة للشيخ عبد الرحمن بمنطقة ديدوش مراد ومازالت ملكا للعائلة إلى الآن، أو ما يجمعه المحبون من أماكن أخرى.

وتولت زاويته بتحفيظ القرآن الكريم، وتقام فيها صلاتا العيدين وصلاة القيام في شهر رمضان الكريم، كما يحتفل فيها بعيد المولد النبوي الشريف، وتلقى فيها أيضا مدائح التصوف وقصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والسلف الصالح رضي الله عنهم، وقصائد قالها المحبون في الشيخ عبد الرحمن.

صارت الزاوية مرجعًا علميًا وروحيًا، يجتمع فيه الفقهاء، ويُدرَّس فيه المذهب الحنفي، وتُلقَّن فيه أذكار الرحمانية، فصارت مركزًا لتجمع علماء الحنفية والأتراك وعلماء المالكية لعل من أشهرهم: محمد بن الحبيب تلميذه، والشيخ الشاذلي القسنطيني...

الأصول السنية لتصوف الشيخ الباش تارزي

تعدّ الرحمانية نموذجاً حياً لما يُصطلح عليه بـ التصوف السني أو التصوف المقيد بالكتاب والسنة. إن أصول التصوف عند الشيخ باش تارزي لم تكن خروجاً عن الشريعة، بل كانت عمقاً لها، ويمكن تفصيل هذه الأصول السنية في النقاط التالية:

أ-**المرجعية "الجنيدية"**: تقديم العلم على العمل طريقنا هذا مقيد بأصول الكتاب والسنة،

-لا يُقبل "الحال" الصوفي إذا خالف "النص" الشرعي

-المريد لا يصح سلوكه إلا إذا تفقّه في الدين أولاً، فالعلم هو الحاكم على الذوق والوجد

ب- **الانتماء إلى الطريقة الرحمانية** (الأصول الخلوتية)

نقل باش تارزي "التصوف الرحماني" الذي تميز بـ:

تجريد التوحيد :محاربة الشركيات والبدع التي قد تلتصق ببعض الممارسات الطرقية.

التمسك بالسنن الرواتب :جعل الأوراد مكملة للفرائض والسنن النبوية، وليست بديلاً عنها.

ثالثا: الربط بين "الحقيقة" و"الشريعة" لا توجد قطيعة بين الظاهر والباطن. الأصول السنية في منهجه تقوم على:

- الظاهر (الشريعة) :الالتزام التام بالأركان والواجبات.
- الباطن (الحقيقة) :هو ثمرة الالتزام بالظاهر مع حضور القلب.

أي "فتح" رباني لا يمر عبر بوابة الاتباع للنبي ﷺ هو "استدراج" وليس "كرامة"

رابعا: محاربة الشطح والمغالاة

من أهم الأصول السنية في مدرسته هي **الاعتدال** .فلم يُعرف عن الشيخ أو تلاميذه الأوائل الوقوع في "الشطحات" الصوفية (الكلام الذي يوهم الحلول أو الاتحاد):

- التزم بلغة الفقهاء في التعبير عن المعاني الروحية.
- ركز على "التصوف الأخلاقي" (تطهير النفس من الحسد، الكبر، والرياء) وهو جوهر السنة النبوية في تزكية النفوس.

إن تصوف الشيخ عبد الرحمن باش تارزي هو امتداد لمدرسة **إحياء علوم الدين** للغزالي، حيث تكون الأخلاق هي المعيار، والسنة هي الطريق، والشريعة هي الحصن

خلف الشيخ عبد الرحمن باش تارزي عدّة مؤلفات مهمّة في الفقه والتصوف، منها:

-**المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية**: منظومة شعرية فيها، شرح مفصل للطريقة الرحمانية الخلوتية، مثل: شرح أهمية الطريق ومراتبها.

- ❖ مراتب الطريق: يوضح درجات السير إلى الله.

- التلقين والسند: يوضح كيفية تلقي العلم والأسانيد الصحيحة.
- ورد الطريقة الرحمانية الخلوتية، يبين الأذكار والعبادات اليومية للطريقة.
- أركان وأصول الطريقة الرّحمانيّة.
- شروط الورد والتربية.
- مراتب الذاكرين.
- المذاكرة والموعظة في الطريقة الرحمانية.
- الذكر في الحلقة.
- آداب المريد مع نفسه ومع شيخه ومع إخوانه.
- التوبة.
- الخلوة.

كما تتضمن توجيهات ذوقية للآداب مثل: آداب الأكل والشرب والنوم والجلوس، وما يجب أن يتأدب به الطلبة والمريدون والناس عامة.

وشرحه لاحقًا ابنه الشيخ مصطفى باش تارزي في كتابه المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، وقد طلب من الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس سنة 1341هـ/1923م تصحيح "المنظومة، طبع بمطبعة النجاح سنة 1341هـ/1923م، جاء في آخر المنظومة عنوان: خاتمة الطبع بقلم المصحح أي ابن باديس:

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى جَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْآلِ وَالصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَجَمِيعِ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ تَمَّ طَبْعُ الْمَنْظُومَةِ الرَّحْمَانِيَّةِ، ذَاتِ الْأَسْرَارِ الرَّبَّانِيَّةِ، الْجَامِعَةِ لِأُصُولِ الطَّرِيقَةِ الْخَلْوَتِيَّةِ، وَآدَابِ التَّرْبِيَةِ الشَّرْعِيَّةِ، الدَّالَّةِ عَلَى عِلْمِ نَاظِمِهَا وَبَرَكَتِهِ، مَا نَفَعَ اللَّهُ بِهَا مِنْ أَتْبَاعِهِ، وَتَلَامِذَتِهِ، حَتَّى نَفِدَتْ طَبْعَتُهَا الْأُولَى مَعَ شَرْحِهَا، فَكَثُرَتِ الرَّغَبَاتُ، وَتَوَالَتِ الطَّلَبَاتُ، فِي إِعَادَةِ طَبْعِهَا، لِتَعْمِيمِ نَفْعِهَا، فَقَامَ بِذَلِكَ عَلَى نَفَقَتِهِ الْعَالِمُ الْبَرَكَةُ، الْخَيِّرُ الثِّقَةُ، شَيْخُ شُيُوخِ الطَّرِيقَةِ الْخَلْوَتِيَّةِ، بِقُسَنْطِينَةَ الْيَوْمَ، الْمُتَحَلِّي مِنْ أَخْلَاقِ أَسْلَافِهِ بِالنَّفَائِسِ الْغَالِيَةِ السَّوْمِ، الشَّيْخُ سِيدِي مُصْطَفَى بْنُ الشَّيْخِ سِيدِي مَحْمُودِ بْنِ الشَّيْخِ سِيدِي الْحَاجِّ مُحَمَّدٍ بْنِ الشَّيْخِ سِيدِي مَحْمُودٍ بْنِ الشَّيْخِ الْأَكْبَرِ سِيدِي الْحَاجِّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بَاشْ تَارْزِي، زَادَهُ اللَّهُ مِنْ بِرِّهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَسَدَّدَهُ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ، فَمِنْهُ آمِينَ.-

كتاب عمدة المريد: كتاب في السلوك الصوفي وأخلاق المريد، وهو مفقود.

-كتاب غنية المريد في شرح كلمتي التوحيد: في الأصل منظومة تتضمن شرح لمسائل عقائدية وتوحيدية وهي 45 مسألة، مثل: التوحيد وأقسامه، الخوف من الشرك، الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، أحكام الرقي والتمائم والتبرك، الذبح لغير الله..؛ ويتناول شرح مسائل تتعلق بمعنى الإرادة، كما يوضح الفرق بين المريد (السالك) والمُراد (المطلوب)، هذه المؤلفات صارت مقرّرة في الزاوية الرحمانية بقسنطينة، كما تدرس في الزوايا الرحمانية الأخرى.

وأما مكتبته فقد كانت غنية بالكتب المتنوعة في شتى علوم الشريعة والطريقة، فقد كانت تضاهي مكتبات بعض العائلات العلمية القسنطينية مثل مكتبة بن لفقون، ضمت أمهات كتب التصوف مثل: الإحياء لأبي حامد الغزالي، وكتب ابن عربي، وسيدي بومدين..، وكثيرا من المنظومات الروحية التي تخص التصوف ومناهجه؛ لكن أجزاء كبيرة ضاعت للأسف، أثناء الاحتلال الفرنسي الذي حرق بعضها ومزق الأخرى وصادر الكثير منها، وجزء منها هُرب نحو بعض فروع الرحمانية، أما ما تبقى من مخطوطات فمحفوظ عند الأحفاد؛ ومما يذكر أن الشيخ مصطفى الثاني خليفته قد طلب من الشيخ عبدالحميد بن باديس الذي كان زميلا له في التعلم، أن يعيد تصحيح وتشكيل المنظومة، فتكفل بذلك وبقى لمدة ستة أشهر في مكتبة الباش تارزي، أعادة ترتيبها وتنظيمها وتبويب وفهرسة كتبها على أبواب العلوم.

وفاته

توفي الشيخ عبد الرحمن باش تارزي سنة 1222هـ / 1806م في قسنطينة، بيته الكائن برحبة الصوف، ودفن بزاويته، وما زال يُزار باعتباره أحد أعلامها، وقد خلفه ابنه الشيخ مصطفى باش تارزي في مشيخة الزاوية.

دوره في الجغرافيا الروحية للشرق الجزائري

كان للزاوية فروع ومقدمون، وحسب إحصاء خافيير كوبولاني *Xavier Coppolani* فإن أتباع الزاوية بلغوا في آخر القرن التاسع عشر: أكثر من عشرة آلاف مريد، ولها ثماني زوايا، ووكيل واحد، و25 أستاذا، وشيخ واحد، و85 مقدما، و104 من الشواش، ومعظم هؤلاء الإخوان كانوا في إقليم قسنطينة، وبعضهم كان في إقليم الجزائر.

ومن زاوية الشيخ انتشرت فروع الرحمانية بين سكان قسنطينة وضواحيها، حتى لُقّب بمُروّج الطريقة الرحمانية بالشرق الجزائري، كما كانت حلقة وصل بين القبائل والزوايا الجنوبية، فمنها انطلقت فروع الرحمانية إلى باتنة، بسكرة، خنشلة، ، وحتى وادي ريغ، والريف القسنطيني.

ساهمت الزاوية في ثورة الرحمانيين، سنة 1871، حيث هاجم أتباعها قوات الجنرال "بريقو" حاكم مقاطعة قسنطينة بالوادي الكبير، واستمرت الثورة إلى غاية استسلام الإخوة الرحمانيين.

تلامذته

تتلمذ على يديه الكثير من أقطاب العلم الشرعي والتصوف أشهرهم: الشيخ محمد بن عزوز البرجي(ت 1170 - هـ - 1818 م)، الذي التحق بالشيخ امحمد بن عبد الرحمن الأزهري أول الأمر، فأوصاه بملازمة تلميذه الباش تارزي، فلازمه ملازمة تعلم وخدمة، ثم أخذ الاذن بتأسيس فرع للطريقة غرف باسم العزوزية الرحمانية بالجنوب الشرقي للجزائر، ثم وطّنها بالجريد التونسي ما يعرف بزاوية نفطة، وكانت بينهما مودة واحترام كبيران تعكسها المراسلات بينهما، كلها ود واحترام وتقدير، كان الشيخ الباش تارزي يكتب في مطلعها: من عبد الله سبحانه، عبد الرحمان، إلى الحبيب اللبيب سيدي محمد بن عزوز أعز الله أخانا بعز أهل الكمال، وفتح الله

عليه في الحال والمآل... ومن وصاياه له : عليك أيها الحبيب بالإقبال على الله تعالى بقلبك من غير التفات إلى إقبال الخلق أو إدبارهم فيمنحك الله تعالى الخلعتين ويلبسكهما ، ولكن واحدة بعد واحدة كما جرت عادة الله تعالى بذلك ، وعليك بالنصيحة لنفسك أولا فإن من نصح نفسه قدر على نصح غيره ، أعاننا الله تعالى وإياكم على الإقبال على الله تعالى بالقلب واللسان والجوارح بمنه وكرمه وجوده وفضله ، ولم يجعل كلامنا حجة علينا -آمين ، أطلق عليه لقب نور الصحراء، وأما البرجي فقد سمى أحد أبنائه على اسم شيخه، التارزي بن محمد بن عزوز. على عادة أهل الطرق في اظهار المحبة.

ومن تلامذته أبناؤه مصطفى خليفته في الزاوية وشارح المنظومة الرحمانية، وابنه محمود وأحمد وحسان، أبو عبد الله محمد بن الحبيب القسنطيني، الشيخ عبد الصمد بن علي، شيخ زاوية عين الشفا بباتنة، محمد السياري القسنطيني، والشيخ سيدي بلحبيب الذي كان خادمه الشخصي، وهو مدفون بالزاوية عند العمود الثالث للحائط الأيمن يمين المنبر، والشيخ عمار الراشدي الغربي الذي كان أحد فقهاء المدينة كلفه الباي (يرجح أنه صالح باي) باختباره لما حل بقسنطينة، فلما رأي منه الحفظ والفهم والتبحر تحول إلى مريد له، أما تلميذه الشيخ نجاعي العربي فقد ألف فيه قصيدة يمجده ويذكر خصاله فيها وهي مما سنشد من القصائد في الزاوية الى الان:

يا عبد الرحمان يابابا يا عبد الرحمن
يا بابا لاتنساني وانغر يا سلطان
يا صاحب النغرا كيف الشاعر في ذلك فقرا
يارايس الحضرة تارزي يا رايس الديوان
سبحان اللي علاك كيف تخل هارب اللي جاك
محسوب تحت احماك واظمنتني يا ضي لعيان
سيدي انت المقصود قلبي راه يشوق للعهود

استراتيجية "نشر الفروع" وتكوين النخب اعتمد الشيخ باش تارزي على سياسة تكوين "الخلفاء" بدقة عالية: كان يرسل تلاميذه النجباء بعد إجازتهم إلى مناطقهم في (عنابة، ميلة، سطيف، جيجل، والأوراس) لتأسيس زوايا فرعية.

هذا الانتشار الشبكي جعل الطريقة تتغلغل في النسيج الاجتماعي للشرق الجزائري، من كبرى المدن إلى أعماق الأرياف.

خريطة الانتشار في الشرق الجزائري

يمكننا أن نميز بين نمطين من الانتشار الجغرافي ك

-الانتشار الاول: كتب له الاستمرار والتوغل في المجتمع ، والتفرع الى زوايا قوية انتشرت الى خارج الجزائر ، وهي التي تضمنها سند الاجازة كما رود في الزهر الباسم . في ترجمة الشيخ سيّدي ومولاي محمّد بن أبي القاسم .: الذي يذكر سند الطريقة الى غاية سيدنا على ونختصره عند الشيخ محمد بن سالم الحفناوي ملقن الازهري : محمّد بن سالم الحفناويّ ، وهو لقّن أبا عبد الله سيّدي محمّد بن عبد الرحمن القجطولي الزواويّ الأزهريّ ، وهولقّن وأرشد سيّدي عبد الرحمن باش تارزي القسنطينيّ ، وهو لقّن العلاّمة الصوفيّ سيّدي محمّد بن عزّوز البرجيّ نور الصحراء ، وهو لقّن وأرشد سيّدي عليّ بن عمر الطولقيّ ، وهولقّن وأرشد سيّدي المختار بن عبد الرحمن ، وهولقّن الأستاذ سيّدي ومولاي محمّد بن أبي القاسم .

أ-محمد بن عزوز البرجي أسس الزاوية العزوزية بطولة ومنها انتشرت الى تونس واسس أحفاده زاوية نفطة وبعضهم أسس زاوية في جاوة الاندونيسية ، كما أسس مقدمه عبدالحفيظ الخنقي زاويته المرعروفة بخنقة سيدي ناجي

-ب على بن اعمر الطولي: أسس زاوية طولقة المشهورة الان بالزاوية العثمانية

ج- المختار بن عبدالرحمن الجلالي: أسس زاوية أولاد جلال

د- محمد بن أبي القاسم الهاملي: مؤسس زاوية الهامل ببوسعادة

الانتشار الثاني: في الريف القسنطيني وشرق الجزائر: جيجل ميلة عنابة تبسة ، ولم يكتب لها الاستمرار ، بفعل تدمير الاستعمار لها ، انتقاما من مشاركتهاغ في المقاومات الشعبية :

-زوايا الأوراس (مثل زاوية بني عبد الصمد، زاوية الشيخ علي دردور) :انتشرت الرحمانية فيها بتأثير من زاوية باش تارزي.

- **زاوية الشيخين عمارة ومحمد الحفناوي (بني مزلين، قالمة)** :تعتبر من الزوايا الرحمانية الهامة في الريف القسنطين/قالمة، تأسست لخدمة المنطقة

-زاوية الصادق بن الحاج بأحمر خدو/ واحة سيدي المصمودي: عند جبل أحمر خدو، ضمن المجال الأوراسي/الزاب الشرقي . أسسها الشيخ الصادق بن الحاج.،يذكر سعد الله أن محمد بن عزوز عيّن قبل وفاته مقدمين من تلاميذه، منهم الصادق بن الحاج في الأوراس.

زاوية سيدي محمد الصادق بن رمضان بسيدي بركات، بسكرة: وهو من تلاميذ محمد بن عزوز البرجي .

-زاوية سيدي علي الجروني بسيدي خالد: وهو من تلاميذ محمد بن عزوز البرجي .

زاوية سيدي سالم الرحمانية بوادي سوف: أخذ سيدي سالم في بدايته عن محمد بن عزوز، ثم واصل سلوكه على يد الشيخ علي بن عمر بالزاوية العثمانية، وأمره شيخه علي بن عمر بتأسيس زاوية بوادي سوف في حدود سنة 1820م.

- **زاوية سيدي حمانة** :تقع بضواحي ميلة، وهي من المراكز الهامة التي نشرت أوراد الطريقة الرحمانية في أرياف المنطقة

زاوية سيدي بلقاسم" (في بعض المصادر ترتبط بالطريقة الجزولية أو فروع رحمانية محلية): تبسة

- **زاوية سيدي خليفة :** أسسها علي بن خليفة،جنوب ولاية ميلة وهي قريبة جدا من قسنطينة .

عوامل وأسباب الانتشار الواسع

- **جهود الخلفاء الأوائل** :ساهم تعيين الشيخ المؤسس محمد بن عبد الرحمن الأزهري لمقدمين في الشرق الجزائري قبل وفاته في سرعة توسعها.
- **الدور العلمي والتربوي** :اعتمدت الزوايا نظام "الكتاتيب" لتعليم القرآن ونشر العلم، مما جعلها مقصداً للطلبة من مختلف القرى والأرياف.
- **المواقف الوطنية** :اتخذت الطريقة موقفاً عدائياً ضد الاستعمار الفرنسي منذ بداياته، وقادت العديد من المقاومات الشعبية في الشرق، مما زاد من التفاف الشعب حولها.
- **الطابع الشعبي** :وجد الفقراء وسكان الأرياف في تعاليمها ملاذاً روحياً واجتماعياً، حيث اهتمت بإيواء الغرباء وفض النزاعات القبلية.

بعض التقارير و الاحصائيات الفرنسية عن زوايا الطريقة الرحمانية

تقرير لوي رين (Louis Rinn) لعام 1884

يُعتبر لوي رين، رئيس مصلحة الشؤون الأصلية، المرجع الأدق في الإحصاءات الفرنسية. في كتابه *"Marabouts et Khouan"* ، سجل الأرقام التالية للرحمانية:

- **العدد الإجمالي للمريدين** :حوالي **156,214**مريداً على مستوى الجزائر.
- **عدد الزوايا 177** :زاوية.
- **في قسنطينة (الشرق)** :سجلت الطريقة الرحمانية أكبر تمركز لها بـ **112,000**مريد، وهو رقم ضخم مقارنة بالطرق الأخرى (مثل القادرية التي سجلت 25,000 مريد فقط في نفس الفترة).

إحصائيات ديبون وكوبولاني (Depont et Coppolani) لعام 1897

في كتابهما الشهير *"Les Confréries religieuses musulmanes"* ، أكدا هيمنة الطريقة في الشرق:

- **الانتشار الجغرافي:** أكدا أن الرحمانية تسيطر على **القطاع القسنطيني** بالكامل تقريباً (الأوراس، بلاد القبائل الصغرى، والزيبان).
- **المريدون:** قدرا عددهم بـ **155,700** مريد (أي قرابة 52% من مجموع منتسبي الطرق الصوفية في الجزائر آنذاك).
- **المقدمون (القادة المحليون):** أحصيا **266** مقدماً موزعين في القرى والمدارس القرآنية بالشرق.

3. مقارنة القوة (حسب الأقاليم العسكرية)

تشير الوثائق العسكرية الفرنسية إلى أن توزيع "الإخوان" (Khouan) الرحمانيين كان كالتالي:

- **عمالة قسنطينة:** المرتبة الأولى وطنياً من حيث عدد الزوايا والأوقاف التابعة للرحمانية.
- **منطقة الأوراس:** كانت تضم لوحدها أكثر من **15,000** مريد تابع لزوايا خنقة سيدي ناجي وأولاد جلال.

4. ملاحظات المراجع الفرنسية حول هذا الانتشار

- **التغلغل الريفي:** لاحظ الضباط الفرنسيون (مثل الكابتن ريتشارد) أن الرحمانية لم تكن طريقة "نخبوية"، بل كانت "طريقة الفلاحين والفقراء"، وهو ما فسر سرعة انتشارها في جبال الشرق الجزائري.
- **النفوذ المالي:** تشير تقارير الإدارة الفرنسية لعام 1850 إلى أن زاوية "طولقة" و"صدوق" كانت تمتلك أراضٍ شاسعة (عزيب) تدر مداخيل كبيرة استُخدمت لتمويل المقاومة.

هل ترغب في تفاصيل حول **إحصائيات زاوية معينة** في الشرق أو أسماء **المقدمين** الذين ورد ذكرهم في هذه التقارير؟

المصادروالمراجع

المصادر الشفوية

1- نقيب الحضرة الرحمانية بقسنطينة الشيخ محمد الصالح داود

2- عبد المجيد باش تارزي من أحفاد الشيخ عبد الرحمان باش تارزي

المصادر المكتوبة

3- عبد الرحمن باش تارزي، غنية المريد في شرح مسائل التوحيد، المطبعة العربية تونس 1904

4- عبد الرحمن باش تارزي، المنظومة الرحمانية في الأسباب الشرعية المتعلقة بالطريقة الخلوتية. المكتبة الفلسفية الصوفية، الجزائر 2014

5- مصطفى بن عبد الرحمن باش تارزي، المنح الربانية في بيان المنظومة الرحمانية، تحقيق عبد المنعم القاسمي، دار الخليل القاسمي للنشر والتوزيع، الجزائر2016.

6- محمّد بن الحاج محمّد بن أبي القاسم ، الزهر الباسم في ترجمة الإمام سيّدي محمّد بن أبي القاسم تأليف الشيخ سيّدي المطبعة الرسميّة التونسيّة 1308 ه

7- محمد بن عزوز، رسالة المريد في قواطع الطريق وسوالبه وأصوله وأمهاته، جمع وتقديم كمال عجالي، منشورات ارتيستك، الجزائر، 2007

8- أبو القاسم الحفناوي الديسي تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906.

9- خير الدين الزركلي، الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 2003.

10- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ج2، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.

11- بوعزيز يحي، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين.

12- عبد الرحمان الجيلالي، الجامع الكبير بمدينة الجزائر معماريا وتاريخيا، مجلة الأصالة، العدد8، 01 ماي 1978.

13- ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر في العصر العثماني، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.

14- عادل نويهض، مُعجَمُ أعلام الجزائِرمِن صَدر الإسلام حَتّى العَصر الحَاضِر، ط2مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان،1980.

15- سليمان الصيد، تاريخ الشيخ علي بن عمر شيخ زاوية طولقة الرحمانية، دار هومة، الجزائر،1998.

16- Octave Depont,... Xavier *Coppolani.Les confréries religieuses musulmanes* (Éd.1897) Alger.

17- Ernest Mercier *Constantine avant la conquête française, 1837 ; notice sur cette ville à l'époque du dernier bey* L.Arnolet,A.Braham,sucr., 1879